مجلة العلوم الإنسانية
Journal of Human Sciences
www.Suj.sebhau.edu.ly
Received 20/01/2017 Revised 02/04/2017 Published online 04/07/2017

التطورات السياسية في ولاية طرابلس الغرب1551 – 1606م

علي أبوخزام
قسم التاريخ–كلية الاداب–جامعة سبها، ليبيا

الملخص كانت ولاية طرابلس الغرب تعاني ظلماً شديداً من الأسبان وفرسان القديس يوحنا ، وفي عام 1551م تمكنت القوات العثمانية من احتلال ولاية طرابلس الغرب بقيادة الوالي مراد أغا، وتوجه الريس طرغوت باشا إلى الأستانة عاصمة الدولة العثمانية لشرح أوضاع الولاية عامة والمسلمين الليبيين خاصة ، أدى إلى الإسراع في إرسال المزيد من الأسطول العثماني إلي مياه الشمال الإفريقي ، ولم يكتف الريس طرغوت بطرد فرسان القديس يوحنا من ولاية طرابلس الغرب ، بل التمس من السلطان سليمان القانوني تكليف الأسطول بتحرير وهران وبجاية وتونس بعد الانتهاء من طرابلس الغرب وضمها إلى ملكه، وقد اقتنع السلطان العثماني ، بوجهة نظر الريس طرغوت باشا ، من هذا المنطلق فإن العثمانيين ظلوا غرباء عن الليبيين طوال الفترة التي امتدت 1551–1606م باستثناء فترة الوالي طرغوت باشا ، الذي كان عادلا ومخلصا، وقدم حياته دفاعا عن ليبيا.

المقدمة: عرفت مناطق الشمال الأفريقي عامةً بالأرض المضطربة نتيجة الأحداث التي شهدتها تلك المناطق ، تزامنت مع بعضها زمانياً ومكانياً ، فقد كانت ولأية طرابلس الغرب موضع تجاذب سلطوي بين الأهالي والعثمانيين ؛ ولهذا فإن الغزاة الذين تجاسروا على الولاية ، شعروا بالعجز عن استنزاف خيراتها واستبعاد أهلها بسبب التكامل الجغرافي ، الذي تتحلى به ولاية طرابلس الغرب ، فضلاً عن المقاومة الضارية التي واجهتهم ، ولم يجدوا تلك الولاية هادئة لغزاة تلك المرحلة في عهد البكلربكي ، بل وجدوا قوى محلية صلبة تواجه الغزاة وتتحداهم ؛ ولهذا وجد الأهالي في العثمانيين قواسم مشتركة جوهرها الدين الإسلامي وإطارها وحدة الدم والتقاء الأهداف والمصالح لكلا الطرفين ، عربا وعثمانيين. تكاثفت جهود العثمانيين مع السكان المحليين، وطردوا الغزاة الأسبان الذين جاؤوا بدوافع دينية بحتة، وقد برز الجهد العثماني جلياً على ولاية طرابلس الغرب التي كانت آنداك لفرسان القديس يوحنا، وبدءاً من السادس عشر من آب سنة 1551م غدت طرابلس الغرب ولاية عثمانية. فولاة تلك المرحلة عصر القوة في الدولة العثمانية، عهد الوالي مراد أغا وطرغوت باشا كانت فترات استقرار وطمأنينة، ومجموع فترة حكمهم لأتزيد عن أربع عشرة سنة. إن جميع الدراسات التاريخية التي تناولت تاريخ ليبيا الحديث تؤكد صحة شعور الأهالي اتجاه الوالي طرغوت باشا ، وفي أثنائها كان الأهالي ينظرون باحترام وتقدير إلى أخوتهم بالدين العثمانيين ، إلا أن هذا التصور لم يستمر طويلاً؛ لأن الولاة الذين خلفوا الوالي طرغوت باشا لم يكونوا على مستوى المسؤولية ، ولم يدركوا معني الأخوة الدينية ، فساموا الأهالي أصنافاً من العذاب ، حيث شردوا شرقاً وغرباً ، وعذبوا شبانهم وحرقوا أراضيهم وصادروا مزروعاتهم وأكلوا محاصيلهم ، عندها بدأ الندم يعض بأنيابه على جلودهم لطلبهم النجدة من السلطان العثماني. وواقع الحال ، فإن شعور الندم ، بدأ يبدو على وجوه الأعيان والعلماء ، وقد توارث الأهالي هذا الشعور جيلاً بعد جيل ، وما إن انقضت مرحلة عصر القوة بوفاة الوالي طرغوت باشا حتى تفاقم غضب الأهالي من العثمانيين ، إن بلادهم غدت في عهد البكلربكي أكثر خراباً ؛ لأن هؤلاء الولاة لم يكونوا عثمانيين بالأصل ، وإنما أصبحوا عثمانيين بدافع نظام الدفشرمه الذي طبقته الدولة العثمانية والتي بموجبه أقامت جيشها الإنكشاري ، وكانوا عندما قدموا إلى الولاية جنوداً ثم أصبحوا ضباطاً بفعل التقادم وأسس النظام العسكري ، ثم تحولوا إلي حكام ظلمة ، لا خبرة لهم في أصول الحكم والدراية ؛ ولهذا عانى الأهالي مرارة العيش ، من ظلمهم الكثير ، وكانوا خلالها لا يرحمون حتى الأطفال وعم الجوع والفقر ، فانتشرت أعمال اللصوصية ، وغدا الفرد الليبي يخشى التجول في وضح النهار ، فإذا عاد إلى منزله أعد نفسه محظوظاً ؛ ولذلك شكلت المدن ميليشيات محلية لحماية مدنها وأهلها من لصوص النهار والليل، ولاشك فقد وجد من بينهم بعض الولاة الذين اتصفوا بالعدالة ، إلا أن جشع الجنود أضاع عدالة تلك الولاة التطورات السياسية في ولأية طرابلس الغرب 1551–1603م. إن صراع الجند على السلطة وعلى اقتسام الغنائم وما شابهها ، ولدّ جموداً اقتصادياً وظلت ولاية طرابلس الغرب تدفع ثمنه وتتحمل نتائجه قروناً زمنية ، أزيلت آثاره بعد تولي أبنائها إدارة بلادهم ، ولكن هذا لا يعني البتة أن العثمانيين الذين فرضوا سلطانهم

على ولاية طرابلس الغرب كانوا يعتمدون إبقاءها محرومة من المكاسب الاقتصادية (1) ، وعلينا نحن الذين نعيش في عقلية القرن الحادي والعشرين أن ندرك أن لكل عصر سماته و طابعه المميز (2) ، أدرك الوالي طرغوت باشا أن ممارسة الأعمال البحرية ضرورة حتمية تقتضيها ظروف دولته الحديثة ؛ ولهذا فقد أولى أهمية كبرى للأسطول ، ليس لحماية البلد فحسب ، وإنما لفرض هيبة الولاية بحرياً وإجبار الدول الأوروبية على دفع الأتاوات ولتحصيل الغنائم ، وكان اعتماده يقوم في تقوية الأسطول على الغنائم والشراء ، وقد اعتمد الوالي طرغوت باشا على زيادة عدد سفنهم البحرية على مايغنمه البحارة من سفن الدول الأوروبية، طبق الوالي إجراءات مشددة على رجال البحر وأنزل عقوبات صارمة بطواقم السفن المهملة ، فالعثمانيون الذين حموا مناطق الشمال الأفريقي من ظلم الأسبان وفرسان القديس يوحنا، لم يألوا جهداً في تحسينها وتقديم أفضل ما لديهم من خبرات إدارية واجتماعية واقتصادية ، ولكن العثمانيين عسكر ، والعساكر أفضل ما يقدمونه آنذاك الشجاعة والتضحية ، وأبناء الولاية الذين عرفوا بالشجاعة و التضحية ، إضافة إلى ما يتحلون به ، فقاوموا غزاة القرن العشرين مقاومة سجلها التاريخ بكل فخر (3). تتألف عساكر البحرية من الجنود العاملين في الترسانة (دار صناعة السفن) ويسمون أوجاق الترسانة ، وهم يتكونون من عدة أوجاقات ، وأساسهم مؤلف من صانعي السفن وصنف الحرب المحاربون في السفن وهذان الصنفان يعملان تحت إمرة القبطان باشا قائد الأسطول (4). يعود الفضل في إنشاء البحرية في مناطق الشمال الأفريقي إلى عدد من رياس البحر على رأسهم عروج وأصدقاؤه الذين شكلوا طاقم السفينة ، وأكملها من بعده أخوه خير الدين بربا روس الذي نظمها ووضع أساسها، ولهذا كانت القرصنة تشكل أساس الأوجاقات الغرب وقد عدت تحركاتهم البحرية أعمالاً جهادية ، فلم تكن خلال مراحلها الأولى تعتمد السلب والنهب هدفاً رئيسياً لها؛ ولهذا تهافت الشبان المحليون للعمل في سفن القراصنة ، وكان الأهالي لدى عودة الرياس من غزواتهم يتجهون إلى الميناء يرددون الأناشيد فرحاً بعودة أبطالهم (5). لقد كانت سفن أوجاق* الجزائر غاية في الروعة والنظام ، وقد ظل هذا التقليد معمولاً به في ولاية طرابلس الغرب وتونس بعد خضوعها للسيطرة العثمانية ، وبتولي الريس طرغوت باشا إدارة الولاية 1555–1565م ، اكتسبت سفن أوجاق طرابلس الغرب نفس الميزة التي كانت تتحلى بها سفن أوجاق الجزائر ، وغدت سفن أوجاق طرابلس الغرب في عهد الريس طرغوت باشا مضرب الأمثال لبقية الأوجاقات الأخرى (6).

ومن المستحيل إجراء مقارنة بين سفن أوجاقات الغرب الثلاث ، فلكل منها مميزات وأصول ، وتظل الجزائر رائدة البحارة ، ونقطة مضيئة في تاريخ البحرية الأفريقية ؛ لأن الرياس ظلوا يشكلون أوجاقاً بحرياً منفصلاً تماماً عن أوجاقات انكشارية الجزائر ، فلم تتأثر بالأحداث التي شهدتها التنظيمات الانكشارية** البرية ، ومما ساعدهم على ذلك تولي إدارة الجزائر الرياس الذين يقدسون الأعمال البحرية ، ويولونها أقصى اهتمامهم ونشاطهم ويضربون بيد من حديد على كل من يخل بنظامها (7). وكانت ولاية طرابلس الغرب تفتقر إلى ولاة يهتمون بالسفن البحرية ويقدمون لها دعماً ولو محدوداً ، وما شهدته سفن أوجاق طرابلس الغرب يمثل في حقبة الوالي طرغوت باشا وفترتي محمد باشا الساقزلي و عثمان باشا الساقزلي قمة ازدهارها إلا أن فترة الوالي طرغوت تميزت بطابع الاهتمام من أجل الريادة المقرونة بعزة البحار وترفعه عن صغائر الأمور وتوافه الغنائم ، فالشجاعة كانت المعيار الرئيسي للبحارة ، أما في عهدي محمد باشا الساقزلي وعثمان باشا الساقزلي ، فقد قيست بما تحققه من مكاسب وغنائم ، وكانت البحارة تعاقب بشدة من قبلهما إذا كانت الغنائم تافهة ومحدودة ؛ ولهذا انحرف البحارة عن هدفهم وتطلعوا قبل الشجاعة وعزة النفس إلى ممارسة السلب والنهب (8). إن اضطراب أوضاع الولاية انعكس سلباً على الأعمال البحرية ، ففي عهد الولاة الذين خلفوا الريس طرغوت باشا اضمحلت الأعمال البحرية ، وإذا تحرك البحارة تحركوا بسفنهم القديمة وجنود يجدفون بأجر وانكشاري يخاف البحر وعواصفه وأهواءه ؛ ولهذا كان بحارة السفن يتجنبون الإبحار في أجواء قاسية وشديدة ، إذا أبحروا بحثوا عن أقرب سواحل الدول المسيحية متسللين إليها خلسة لنهب وسلب ما يقع بين أيديهم متوخين حذر المواجهة ، وحال حصلوا على أي شيء عادوا فرحين بإنجاز ، كان البحارة الأوائل يخجلون من أنفسهم بما حصلوا عليه ، فقلما عادوا بتلك الأشياء التافهة ، وقلما عادوا بدون أسرى ، فقد ترفعوا عن توافه الغنائم ، ولم يعتدوا على شيخ أو طفل ، ولم ينظر بحارة عصر القوة (أي مرحلة البكلربكي)*** ، إلي غزواتهم على أنها باب ارتزاق ومنفعة ، بل كانوا يعدونها رجولة وجهاداً وانتقاماً من الأسبان الذين مارسوا ظلماً على إخوانهم (9). ومهما كانت أهداف الحملة البحرية ودوافعها فإن سكان الولاية وشبابها يجدون فيها خيراً عاماً عليهم ، حيث تغدوا الأسواق عامرة بالبضائع ، ويتوافد التجار من داخل الولاية وخارجها لشرائها ، حتى الأوروبيون يتوافدون إلي الولاية لأهداف عدة ، منها محاولتهم روُية أسراهم. ففي عهد

الريس طرغوت باشا بلغ عدد الأسري أكثر من ستة آلاف أسير ، وكان كل الولاة الذين خلفوا الريس طرغوت يطلبون من بحارتهم إحضار الأسرى إضافة إلى الغنائم ؛ لأنهم كانوا يستخدمون وسيلة لمنع السفن الأوروبية من مهاجمة الولاية ، وفي الوقت نفسه كانوا يبادلون هؤلاء الأسرى بأسرى مسلمين و أغلبهم كان يطالب بفدية مالية (10). من الصعب الحكم بأن الأعمال البحرية قد توقفت نهائياً ، وإنما تعرضت لفترات جمود بسبب صراع الجند ، واقتتال الانكشارية على السلطة انعكس سلبياً ؛ لأنها كانت مأجورة للعاملين بها من مدنيين وعسكريين ، كذلك فقد سمح للأهالي بأحقية امتلاك سفن بحرية لأعمال القرصنة لما كان ولاة الجزائر قد سمحوا للنسوة بالحق في شراء السفن وتأجيرها ، فإن شخصيات طرابلسية نسائية قد قامت بشراء بعض السفن (11). وفي المرحلة الأولي كانت جميع الأموال التي يتحصل عليها البحارة عن طريق القرصنة يقوم بجمعها الريس طرغوت باشا ولم تكن كافية لدفع مرتبات الجيش العثماني في ولاية طرابلس الغرب، فكان بحاجة إلى أموال جديدة للإنفاق على التحصينات في ولاية طرابلس الغرب وأيضاً القبائل التي لم يكن ينساهم عند اقتسام غنائم الحروب البحرية ، لكنه بعد أن أحاط نفسه بالرياس القراصنة في طرابلس الغرب وأصحاب الفرص والمناسبات الذين تنتخبهم الانكشارية ، جعل من هذه الفئة الأولى في إدارة الولاية ونقل رؤساء القبائل الكبرى إلي المرتبة الثانية ، فاتجهت القبائل إلى الانتفاضة وعندما علم السلطان سليمان القانوني بالاحتجاجات والتمرد من الأهالي في ولاية طرابلس الغرب ضد ظلم العثمانيين ، وجه السلطان العثماني سليمان القانوني رسائل عززت بهدايا إلى شيوخ طرابلس الغرب بوحدة أخوتهم في الدين في وجه الدول المسيحية وصدر فرمان إلي الوالي طرغوت باشا بتحصين ولاية طرابلس الغرب ومعاملة الأهالي من أجل الهدوء في الولاية. وفي عام 1560م اتجه لأسطول العثماني بقيادة بيالي باشا نحو جزيرة مالطا ، ولما علم جان اندريا باقتراب الأسطول العثماني سارع بإخراج سفنه من الميناء ، بدأ القتال وسقط مئات الجنود والبحارة والسفن المسيحية بأيدي العثمانيين. وفي عام 1565م بدأ العثمانيون هجومهم على الفرسان في قلعة سانت ايلمو ومد العثمانيون مدافعهم الثقيلة وطوقوا قلعة سانت ايلمو، وقد دفع العثمانيون خسائر فادحة في الأرواح للاستيلاء على سانت ايلموا ، وفي تموز عام 1565م توفي في هذه المعركة الوالي طرغرت باشا ودفن في جامع طرغرت باشا بولاية طرابلس الغرب. وفي أشباط عام 1571م قام النمساوي ekwan Doon بتعدٍ على الأسطول العثماني وعددهم 88 ألف جندي ويضم 262 قطعة حربية وألحق به هزيمة وفي كانون الأول عام 1573م أغار الأسطول العثماني على قبرص واستولى عليها ، وأيضاً في عام 1574م استولى العثمانيون على الأراضي الجديدة مما أدى إلى إضعاف إسبانيا التي تعاني من سلسلة من الهزائم الكبرى ، وهزيمتها في تونس لم تبقِ لها نقاطاً في الشمال الأفريقي وفي عام 1581م صرف فيليب الثاني النظر نهائياً عن الشمال الأفريقي ووقع الصلح مع السلطان مراد الثاني. وتفيد المصادر العثمانية أن تراجع الأعمال البحرية ، بدأ بشكل ملحوظ في عهد الوالي رمضان باشا الذي تولى إدارة الولاية 1582–1584م (12). وفي عهد الوالي مصطفى باشا عام 1584– 1588م حدث توقف متقطع ، وذلك تبعاً للظروف الداخلية التي كانت (الولاية) تواجهها سواءً من ناحية الصراع على السلطة أم بسبب التمردات الداخلية والعصيانات التي قادها بعض القبائل. ففي عهد الوالي أحمد باشا 1588–1590م كانت الأعمال البحرية نشطة ، لكن في السنوات الأخيرة من حكمه توقفت تماما ؛ لأن الوالي أحمد باشا مال إلى الاستبداد و أوقع بالأهالي ظلماً شديداً (13). وفي عهد الوالي حسين باشا 1590–1595م استؤنفت الأعمال البحرية ، ولكن بشكل محدود ، وفي عهد خلفه الوالي إبراهيم باشا 1595– 1600م تم تجديد السفن ومنح البحارة حرية التحرك ولم يحاول مشاركتهم الغنائم إلا بما يخوله قانونها ؛ لأنه كان مغامراً ، وقد قاده طمعه هذا إلى مواجهة بينه وبين البحارة انتهت به إلى الموت. أما في الفترة الواقعة بين 1600–1606م عهد الوالي اسكندر باشا ، فقد جمدت الأعمال البحرية ، وما ثم من تحرك للقراصنة ، كان وقفاً على بعض الضباط الذين تحركوا بجهود فردية واقعها الفقر والجوع الذي شهدتهم الولاية خلال هذه المرحلة ، يضاف إليه حب المغامرة واعتياد بعض الضباط القدماء على ركوب متن البحر ، لأنهم قضوا معظم حياتهم في المغامرات البحرية ، إلا إن قصر أيديهم وعجز مراكبهم عن مواجهة العواصف البحرية حال دون ممارستهم لها باستمرار فرغم ذلك كانوا يستغلون المواسم ويبحرون بسفنهم طلباً لإشباع رغباتهم وأهوائهم (14). أما من حيث سأم الأهالي فهي مسألة واضحة أشارت إليها جميع المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ ليبيا الحديث (15) ، فالأهالي هم الذين شكلوا وفداً لطلب النجدة من السلطان العثماني سليمان القانوني لإنقاذهم من الفرسان الذين ورثوا الأسبان في حكمها وراثة عادية عندما تنازل الإمبراطور كارل الخامس (شارلكان) لهم عنها بناءً على توجيه من البابا، وفعلاً استلموا حكمها سنة 1530م (16) ومارسوا ضد الأهالي ظلماً لا

يحتمل فاضطر السكان إلى طلب النجدة من السلطان العثماني (17). لقد أمل سكان ولاية طرابلس الغرب خيراً من العثمانيين ، واعتقدوا أن العثمانيين عندما وعدوهم بالمساعدة بطرد الأسبان والفرسان من البلاد سيعودون من حيث أتوا ، ويتركون لهم حرية إدارة بلادهم ، كما كانت تدار قبل احتلالها من قبل الأسبان (18). ولم يتصوروا قط أن العثمانيين سيحكمونهم ، ويفرضون عليهم الضرائب ، ويستأثرون بخيراتهم ، وإذا فعلوا مثل هذا فعلى الأقل سيشاركونهم في الحكم. لكن شيئا من هذا لم يحدث ، ولم يتأفف الأهالي بادئ الأمر من إدارة العثمانيين لبلادهم، وأيقنوا أن وجود العثمانيين سيمنع الأسبان أو غيرهم من التفكير بالعودة أو الاعتداء عليهم، لقد لمسوا عن كثب شجاعة العثمانيين في القتال ، وأدركوا مدى قسوتهم ، وقد تعامل السكان المحليون معهم على أنهم إخوة في الدين لا كسيد ولا مسود (19) ، لكن العقلية العثمانية ظلت ترفض هذا التصور ، كما أن عسكرها ظلوا يرفضون المشاركة في كل شيء ، بما في ذلك الحكم، وتساءل السكان والمتصوفة من أهالي البلاد أين الشريعة الإسلامية والأهالي عللوا أنفسهم أن الحامي يجب إن يكون سيداً ، فقبلوا الأمر وتعودوا عليه ، وغدا مع مرور الزمن أمراً بديهياً ، لا يستحق أن يثور خلاف بسببه ولا حتى مناقشة ، فانصرف الأهالي إلى أعمالهم كالمعتاد، وتركوا لهم إدارة البلاد ينظمونها بما يناسبهم ، لكن العثمانيين لم يكتفوا بذلك فرضوا عليهم الضرائب وقبلها السكان بادئ الأمر ، وأقروا بأن تحسين البلاد يحتاج إلى نفقات ، لكن الضرائب زادت عن الحد المألوف، ولم يعد بمقدور الأهالي دفعها ، ولا سيما أن الضرائب تعددت ، فقد فرضت على الأرض وعلى الماء والطاحون ضريبة وعلى الطرقات ، وعلى الزواج ، وعلى كل طفل يولد ، وعلى الفتاة البكر وعلى المرأة الثيب (المطلقة) وعلى القمح والشعير وعلى الدواب بأنواعها والطيور بأنواعها ، وحتى على الجندية ، لم يبق شيء إلا وعليه ضريبة ، فماذا يفعل سكان المدن بإمكانياتهم المحدودة ، وما ينتجونه لا يكفي لضريبة واحدة والضرائب تزداد قيمتها يوماً بعد يوم، وأرضهم قد لا تجود أي محصول لأنها زراعة موسمية تعتمد على ما تذره السماء من الأمطار، والجراد يأكل نصف المحصول إذا لم نقل كله ، وعليهم دفع الضرائب وإلا صودرت أملاكهم ومواشيهم وأخذ أهل البيت إلى القره قول (المخفر) ، فتعرضوا للشتم والإهانة والتعذيب ، وإذا حاول أحدهم إن يدلي بحجته ضرب بقسوة ودونما رحمة. لم يكن أمام الأهالي وسيلة أفضل من التمرد ، فاعتمدوا التمرد الجماعي فضربوا جماعياً وعوقبوا بمصادرة أملاكهم ومواشيهم فهجروا الأرض ، وحتى بعد هجرهم للأرض لم تخفف الضرائب عنهم ، ولم يرحموا يوماً، ولم يعطوا مهلة لدفعها ، فالجباة ترافقهم دائماً قوة عسكرية وعلى كل فرد من أهالي المدينة أو القرية أو المنطقة دفع ما عليه من ضرائب ، وإذا أظهر تأففاً زادت قيمة الضريبة ، وإذا تمرد تضاعفت ، والتمرد يدل على الفقر والجوع والقهر ، لم تعرف ولاية طرابلس الغرب (ليبيا) سنة من سنوات الحكم العثماني إلا وتمردت فيها أكثر من مدينة ، لقد ندم الأهالي على طلب النجدة من العثمانيين؛ لأن ظنهم خاب بهم فقد أثقلوا كاهلهم بالضرائب وأوجعهم بظلمهم وقهرهم ، وحرموهم من المشاركة في إدارة بلادهم. إن العثمانيين حكموا ولاية طرابلس الغرب من خلال جنودهم (20) ، وقد كان جنودهم قوى بشرية شتى ، جمعت من جنسيات عدة وقوميات متنوعة رابطها الأساسي الولاء العثماني ، وعندما تفسخ نظام الانكشارية وتحول هذا الرابط إلى البحث عن المصالح وغدا وسيلة للتهديد والوعيد ، يضربون الغير باسمه ، ويهددون الرعية باسمه ، وينهبون باسمه فمن خلاله وبه ضمنوا تحقيق مصالحهم الذاتية (21). لقد سأم الأهالي حكم العثمانيين وإدارته ، وقد عبروا عن مأساتهم بعدة وسائل منها (22).

الاحتجاج والتمرد: لم يكن من سجية أهالي طرابلس الغرب إعلان احتجاجهم و تمردهم على العثمانيين من باب العدوانية أو الميل إلى الشغب ، علماً بان أهلي ولاية طرابلس الغرب يمتلكون طابعاً أقرب إلى البداوة ، فالبداوة تواجه العنف بالعنف والظلم بالثورة والتمرد فهم هادئون وميالون إلى الملاطفة و الظرافة ، رغم قسوة ظروفهم الطبيعية ، وهم في الوقت نفسه شرسون إذا مورس ظلم عليهم ، وكلما ظلموا ازدادوا عدوانية وشراسة ، غدرهم قليل ، وكذبهم نادر ، وهم لينون إذا أظهر الطرف الآخر اللين ، وقساة إذا شعروا بالإهانة وتعرضوا للظلم ، عرب ميامين شجعان يحترمون الضيف يسارعون لإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم (23).

وبالرجوع إلى المصادر العثمانية ، نجد أن الليبيين ثاروا على الحاكم العثماني عندما أثقل كاهلهم بالضرائب ، ونتيجة لفقر الولاية احتجوا إلى السلطان العثماني طالبين التخفيف من الضرائب معللين له ذلك بفقر حالهم وقلة مواردهم ، وعندما لم يستجب لمطالبهم عبروا عن احتجاجهم بإعلان العصيان والتمرد ، وفي كثير من الأحيان يتحول العصيان إلي اقتتال بينهم وبين القوات العثمانية (24). لم يحاول العثمانيون إزاء الإدارة العثمانية تطوير البلاد ؛ ولذلك فقد ظل التطور الاقتصادي ضعيفاً جداً وظل السكان يعتمدون في معيشتهم على الرعي المتنقل فوق مساحة شاسعة من أرضٍ لا تحرث ولا تزرع ،

وإذا وجد عمل زراعي في الولاية ، فقد اقتصر على الشريط الساحلي (25) ، ونتيجة لجمود الحياة الاقتصادية وفسخ العلاقات الاجتماعية ، فقد تطور الإقطاع وبرزت علاقات طبقية بين سكان الولاية ، في حين انتشر بين سكان الدواخل مسألة التوقف السلطوي من خلال التقرب إلى الإدارة العثمانية التي عمدت إلى تسخير العلاقات مع بعض القبائل البدوية لضرب القوى الأخرى ، وتجلي هذا الضرب في مجموعات من الناس ، (القوى البشرية)، وتدمير مزروعاتهم ونهب مواشيهم ؛ لأن العثمانيين لم يتمكنوا من إسكات تلك القبائل البدوية من خلال إفقارها، وهذا الإفقار هو الذي دفعهم في مواقف كثيرة إلى شن هجمات ضد سكان المدن ، فنهبوا الدور وأحرقوا المزروعات ، وكان سكان السواحل أكثر المدن الليبية تضرراً ، فقد تعرضوا إلى استغلال بشع نتيجة لمهاجمة بعض القبائل لمزروعاتهم ومواشيهم ، ناهيك عن الضرائب التراكمية التي تفرضها الإدارة العثمانية ، ولهذا فقد كثرت عصياناتهم واحتجاجاتهم ، وعدها الولاة ثورة على السلطان العثماني وعصيانهم على إدارتهم فأوسعوهم ضرباً وتشريداً (26). لم يراع العثمانيون في فرض ضرائبهم على ولاياتهم بين ولاية و ولاية مراعاة تساعد الأهالي على عدم إعلان عصيانهم وتمردهم ، ولا سيما من ناحية الجباية ؛ ولهذا فقد اعتادت الانكشارية وبموجب نظام الجباية على جمع الضرائب مرتين في السنة ، ونتيجة لذلك كانوا يجهزون قوة عسكرية ترافق الجباية ، فإذا تمنع الأهالي عن الدفع ، كانت القوى العسكرية تصادر الماشية والأمتعة القيمة والنقود ، وقد أسفر عن قيام عصيانات كانت تتحول إلى اقتتال ، يضطر الوالي بعدها إلى إعداد حملة تأديبية على المناطق التي تمردت ، فيعاقبها مرتين ، مرة بمنعها عن الدفع وأخرى لقتال القوة العسكرية المرافقة للجباية (27). إن التعميم الضرائبي المعتمد من الإدارة العثمانية إضافة إلى كثرة الضرائب والغرامات ، ولد عند الأهالي شعوراً بالمقت نحو تلك الإدارة التي تأكل ولا تعمل ولا تحسن حال المواطن ؛ ولهذا قلما نجد سنة من السنوات خلت فيها مناطق الولاية من احتجاجات وعصيانات وتمردات ، لقد تجسد شعور الأهالي بالظلم نحو الإدارة العثمانية في الولاية من خلال الثورات. مردها الفقر الذي عم الولاية بكاملها ، أسباب عامل الأمن ، فتحرك السكان بثورات جماعية عمت مختلف أرجاء الإمبراطورية العثمانية وكانت ولاية طرابلس الغرب واحدة من جملة الولايات التي ضلت ثورتها تدمراً من الإدارة ، وطمعاً في التخلص من العثمانيين الذين مارسوا الظلم عليهم باسم الإسلام وباسم حماة ديار المسلمين ففي سنة 1567م انتفض الأهالي وهاجموا الإنكشارية في ثكناتها ، كما قتلوا الحامية ، فاضطر الوالي بعد ثلاثة أيام بمهاجمتهم بعنف و فرض عليهم غرامة مالية (28).

وفي سنة 1575م قامت ثورة في غريان قادها الحجاج ، الذي جمع الأهالي حوله وذكرهم بماضيهم وكيف أن العثمانيين أذلوهم واستولوا على أراضيهم ومحاصيلهم وماشيتهم (29). وقد أمطر أهالي ولاية طرابلس الغرب الأستانة**** بشكاوى عدة ، يعرضون فيها المآسي التي يتعرضون لها سواء من الانكشارية أم من الموظفين. وفي شهر شباط 1577م وصلت الانكشارية إلى سبها ومرزق وقد دفعت الأهالي الضرائب الباهظة التي كان الحصول عليها بالقوة وبدلاً من المنتصر الحاكم وضع على رأس السلطة حامي حاكم فزان الجديد ، وفي سنة 1578م رفع الأهالي شكاوى كثيرة بحق الوالي حيدر باشا ، وعندما علم السلطان سليم الثاني بثورة غريان قام بعزل جعفر باشا من منصبه وكلف مصطفى باشا الذي أصبح نائب السلطان في الولاية ، وفي سنة 1587م قاد يحيى بن يحيى السويدي من تاجوراء ثورة ضد الانكشارية التي اعتدت على الحجاج الليبيين المتجهين إلى مكة، ولم تتمكن الإدارة في ولاية طرابلس الغرب من القضاء عليهم إلا بعد تعهد الوالي بمعاقبة الانكشارية وتخفيف الضرائب المفروضة على سكان غريان (30). إن الثورات التي قامت في ولاية طرابلس الغرب ، ليس مردها الظلم والتعدي من الانكشارية فقط ، وإنما من الولاة أنفسهم ، وقد أجازت الدولة العثمانية ذلك ، رسمياً ، فقراءة الفرمان السلطاني الموجه إلى أمير أمراء ولاية طرابلس الغرب حيدر باشا يؤكد ذلك (31). لم تقتصر الثورات على سكان ولاية طرابلس الغرب ، فالانكشارية نفسها ثارت ، وشكلت تجمعاً بشرياً لنهب أموال الرعية ، متجاهلين الولاة ، وقد أسفر عن ذلك قيام ثورة قادها شبان طرابلس الغرب ، مدعين تبعيتهم للثائر يحيى بن يحيى السويدي ، الذي تحرك إلى جربة لإثارتها ، وأرسل موفديه بطلب المساعدة من فرسان مالطا، فقد كلف المرشد الأعظم لفرسان مالطا الأميرال خوموديسي وأنزلت المعدات والعتاد والأسلحة على ساحل ولاية طرابلس الغرب وأثارت قلق السلطان العثماني نجاحات يحي بن يحي ولم تتمكن قوات الفرسان من الاستيلاء على ولاية طرابلس الغرب نظراً للقوة البحرية العثمانية المتمركزة في الولاية، وأصدر السلطان العثماني أمراً بالتجهيز لحملة عسكرية على طرابلس الغرب إلا أن ظروف الطقس لم تكن مناسبة وأصدر السلطان العثماني فرماناً إلي الانكشارية للقضاء على المدعي الدجال يحي بن يحي وتم القبض عليه عام 1590م ، فقد نجحت الانكشارية في المهمة التي كلفوا بها وكانت الإجراءات القمعية تتم علي أيدي

الإنكشارية. وفي سنة 1590م ، دارت حرب طاحنة بين الوالي محمد باشا والثوار بسبب محاولة الانكشارية جمع الضرائب المفروضة عليه قبل أوانها ، وحينما امتنع الأهالي بالغت الانكشارية في تصرفاتها ، فقامت ثورة زهقت خلالها أرواح من الطرفين (32) ، وفي فترة الثورات مابين 1600-1606م قامت ثورة عبد الصمد وتم إخمادها بصعوبة، وبعد ثلاث سنوات اشتعلت ثورة النبال وتحولت ولاية طرابلس الغرب إلي جزيرة وانقطعت عن بقية البلاد التي يرفض أهلها دفع الضرائب، وهذا السبب الذي جعل الأهالي على استعداد للالتفاف مع بعضهم تحت قيادة محلية ترفع راية النضال ضد العثمانيين. لقد واجه العثمانيين في ولاية طرابلس الغرب (ليبيا) احتجاجاتٌ قادتها جماعات ادعت النبوة ، وبالطبع فإن للشمال الإفريقي تراثاً واسعاً وقديماً في هذا المجال وذلك منذ فجر الإسلام ، فهناك الميسرة والكاهنة ، وفي ظل الإدارة الأموية وجد أشخاص كثيرون ادعوا النبوة ، ونشأ عن ادعاءاتهم حركات دينية لعبت دوراً بارزاً في التاريخ سواءً سلباً أو إيجاباً ؛ ولهذا ليس مستغرباً أن يقود عدد من الأشخاص ثورة ويغلفون ثوراتهم بأغلفة دينية ؛ لأنهم لا يستطيعون أن يجمعوا سكان تلك المناطق إلا باسم الدين (33).

فهناك الحجاج وهناك يحيى السويدي ، وهناك الشيخ الناصر ، وغيرهم من الشخصيات التي برزت على الساحة في ولاية طرابلس الغرب ، ولكنهم في الواقع تطلعوا إلى تحقيق مكاسب شخصية وكان مؤيدوهم وأنصارهم من الشباب والعاطلين عن العمل (34).

أيضاً اقتصرت ثورات القبائل على الدواخل ، التي قادتها زعاماتها القبلية (35) ، ولم تظهر هذه الثورات إلا عندما كان يضطرب حبل الأمن ، وتحرم القبائل من حماية القوافل التجارية وتأجير إبلها (36) ، إضافة إلى ذلك فإن زعامات بعض القبائل تعاملت مع الفائزين ، بقصد إرباك العثمانيين وإشغالهم (37). وتفيد بعض المصادر العثمانية الحاقدة على هذه القبائل أن هذه القبائل كانت تتسبب في اضطراب حبل الأمن ، وتحول دون تمكن الوالي وإدارته من تحسن الولاية ، كما كانت تقوم بنصب الكمائن ضد القوات العثمانية (38)، تباغتها وتضربها بقسوة ، على الرغم من أن السلطان العثماني منح القبائل البدوية عامة وقبائل مناطق الشمال الإفريقي خاصة استقلالها وخصها بالعناية (39) ، وحذر الولاة من شن أي هجمات ضدها (40) ، إلا أن بعض القبائل البدوية ، كانوا يهاجمون الانكشارية التي تكلف بتعقب اللصوص وقطاع الطرق (41) ، وكانوا يردمون الآبار ، عندها تتعرض الانكشارية للموت عطشا (42) ، حينما ثارت الانكشارية وقتلت رمضان باشا ، كان بسبب توغله في الداخل ، وقيام القبائل بردم الآبار (43) ، وهكذا نرى أن اضطراب الأمن أسفر عن جمود الحياة الاقتصادية ولاسيما في ولاية طرابلس الغرب الفقيرة بإمكانياتها الزراعية ، كما تسبب في زيادة الفقر فلجأ عدد من أعيان الولاية إلى الهجرة إلى المشرق ، تاركين أهليهم بين أيدي الانكشارية ، التي سميت هي الأخرى من الممارسات اللاأخلاقية التي كانت تمارس ضد الأهالي . لدرجة أن بعض أفرادها فر من الولاية هائماً في المناطق ، وذلك استنادا إلى مذكراتي انكشارية.

الخاتـــــمة: نستنتج مما تقدم أن الأهالي سئموا من سوء الإدارة العثمانية ، التي حولت الولاية إلى مسرح صراع وتسابق على السلطة ، إضافة إلى أن العثمانيين ، تحملوا قسوة الانكشارية وتجاوزاتها ولم يعد بمقدور الأهالي تحمل ذلك ، وقد استنجدوا بالمركز أكثر من مرة ، لكن المركز تجاهل معاناتهم ، وإذا كانت الفرمانات السلطانية تؤكد في مضامينها على تحذير الولاة من ارتكاب الظلم أو الإساءة ، فإن الولاة أوسعوا الأهالي ظلماً وقتلاً ونهباً ، ولم يبقوا في الولاية على شيء جميل ، فقد سرقوا الفرحة من وجوه الأهالي وحرموا الشبان من فرص العمل ، لم يكتفوا بذلك ، بل أجبروهم على الهجرة ، فأخذ الجند يرهقون العجزة والنساء والأطفال بضرائب لا حصر لها ، فوق هذا كله ، حولوا التحركات البحرية التي كانت تفرض هيمنتها على معظم السواحل الأوروبية إلى تحركات لصوصية ، فالبحارة الذين كانوا يتفاخرون بعدد الأسرى الذين وقعوا في أيديهم في معارك متكافئة ، غدوا أشبه باللصوص يتصيدون الأوروبيين تصيداً فيخطفونهم خطفاً ، ويسرقون ماتصل إليه أيديهم. كذلك فإن صراع الجند وتقاتلهم على السلطة وسرق الأمن والاستقرار من الأطفال والعجزة، حرم الجميع لذة النوم ، وغدا سكان السواحل والدواخل يترحمون على بعض الولاة الذين فرضوا الأمن ، فملأت زغاريد الفرح الموانئ الليبية ، فالليبيون طيبون ينسون بسرعة أيام المآسي ولا يتذكرون إلا أيام الفرح والسعادة. إن سأم الأهالي من الإدارة عبرت عنه تلك الشكاوى التي قدمها الأهالي إلى المركز يعرضون فيها أوضاعهم ، وكيف تجاسر الجند عليهم ، وما يفعله الولاة ، وكيف أهملت البلاد ، فلا أسوار ، ولا حصون منيعة ، ولا قلاع محصنة ، تضمنت الشكاوى التماس الأهالي بتخفيف الضرائب التي لم يعد بإمكانهم دفعها ، حينما تجاهلت استانبول شكواهم ، لم يعد بمقدورهم الصبر فعمت الثورات والعصيانات والاحتجاجات مختلف أرجاء الولاية وتعرضت الانكشارية خلالها إلى خسائر كبيرة بالأرواح والعتاد ، وهذا يدفعنا إلى

القول بأنه كثيراً ما يقرن، الاقتصاد بالأمن ، فإن كان الأمن مستتباً ، وهناك قانون ونظام يحدد كل شيء ، فإن الاقتصاد ينشط وينتعش ، والتجارة مقتلها فقدان الأمن ، فإن كان حبل الأمن مضطرباً فلا تجار ولا تجارة ولا صناع ولا صناعة ، إن التجارة تحرك الأسواق وتعلي حركة التصنيع فتغدوا الأسواق عامرة بمختلف البضائع المحلية والمستوردة وتحدث المنافسات التجارية ، ويتبارى التجار في الشراء والمساومات التجارية وتلجأ الدولة إلى إقامة الخانات والفنادق للزائرين من تجار وزبائن عندها تموت البطالة ، يغدو بإمكان الجميع تأمين لقمة عيشهم من الازدهار التجاري ، كما أن زيادة السيولة المادية ، يعني قدرة الجميع على شراء حاجياتهم وليس هناك أي مبرر لممارسة أعمال غير شريفة ، ولكن من أين لولاية طرابلس الغرب ، أن تزدهر اقتصادياً وتنشط تجارياً، طالما كانت معظم واردات خزينة الدولة تأتي من الضرائب التي لم يبق شيء يتعلق بحياة المواطن إلا وقد فرضت عليه ضريبة ، وفوق هذا وذاك جند قدم من أجل الغنى وجمع الثروة ، وانكشاري تزوج من امرأة محلية ويمتلك راتباً محدوداً ، و والي اشترى منصبه شراء ويريد استرداد ما دفعه ، وضباط تتطلع إلى امتلاك القصور والجواري ، واستانبول بسلطانها تريد الضريبة السلطانية ، وأرض تزرع موسماً وأحداً في السنة ويعتمد زرعها على ما تدره السماء ، وهناك جراد ينتظر ، وقبائل تتدفع بإبلها أيام المواسم إلى أماكن المزروعات تريد إطعام ماشيتها وإبلها ، ومدفعية تطلق قذائفها أثناء العزل وأثناء التعيين ، وبينما يمنع التجول والحركة للجميع ، ولصوص وقطاع طرق يترقبون الفرص المناسبة لهم للسلب والنهب ، والدول الأوروبية يناسبها انشغال الانكشارية بأمور داخلية وبحارة يبحرون شهراً لجلب الغنائم وشهوراً لا يبحرون وشباناً يهجرون أوطانهم طلباً للعيش وخوفاً من السخرة وضريبة الجندية ، وتجار يتاجرون ببضائعهم ، ومتى اقتحم التاجر الأموال وجازف ببضائعه لطرحها في السوق يشكو الاضطراب منه ، والفوضى تقف على مداخله ومخارجه ، أبعد هذا كله هناك حياة اقتصادية؟ وواقع الأمر، فإن جمود الأعمال البحرية في ولاية طرابلس الغرب كان مخيفاً ؛ لأن العثمانيين بقدومهم جلبوا للأهالي قلقاً دائماً ، وفزعاً ورعباً لا يفارق الأهالي ولم يقف الرعب في الزقاق وعلى قارعة الطريق ، بل استقر في كل منزل وغدا جزءاً لا يتجزأ من الفرد العادي ، حتى البدوي القابع في الصحراء مع إبله وماشيته وخيمته ، شاطره الاضطراب نصف ممتلكاته ، واستولى واستحوذ على جميع ممتلكات هذا البدوي البسيط. أما الزراعة فقد بقيت متأخرة لم يلامسها أي تحسن خلال المرحلة الأولي للوجود العثماني وظلت الزراعة عفوية بدائية ، وظل ازدهارها يتوقف على ماتدره السماء ورحمة الجراد ، والمواطن الذي لم يقتل كثائر أو كمقاتل للظلم ، قتله الطاعون ، وأكلت الفاقة أولاده وعياله ، أما الصناعات التي ظلت بدائية ، تزدهر بحسب الحاجة المحلية ، وإذا ازدهرت وتطورت سنة ما ، جاءت السنة الأخرى لتطحن تحسنها وتطورها. ليست الصورة قاتمة تماماً ، ولكنها ليست مضيئة أيضاً ، لقد كانت الحياة وقفاً على العساكر ، وظل العساكر هم سادة الموقف ، فلا القانون ولا النظام يلزمهم، والولاة يتطلعون إلى إرضاء العساكر لأنهم ثقة السلطان القابع في الأستانة، و طالما ظل المسيحيون بعيدا عن ديار سلاطين الشمال الإفريقي ، فإن أحوال السلاطين جيدة ، فالسلطان يستطيع أن يؤمن للأهالي القمح والشعير والذرة ، إذا تعرضت المواسم إلى كارثة قدرية أو فعلة بشرية ، فالتطور الاقتصادي لا يعنيه والاستقرار الاجتماعي قضية قادر على تأمينها ، ولم يكن ولائه في الولاية أكثر تحسساً لحالة الأهالي منه ، فالجميع ، السلطان وعساكره متفقون على حماية حدود الإمبراطورية والمواطن غير متأفف من الجندي الذي يحميه من المسيحيين ، فهل يريدون حياة أفضل من ذلك، وما نفع الاقتصاد إذا وجد السلاح، ومن أين للتاجر المحلي والأوروبي أن يتنقل ، طالما القبائل نصبت كمائنها واللصوص يقفون على مفارق الطريق. خلاصة القول : من العبث القول إن التطورات التي أسفرت عن بروز عصر النهضة والثقافة الصناعية كانت ولاية طرابلس الغرب قريبة منه ، لقد كانت بمنأى عنه ؛ لأن ولاة المراحل السابقة ، التزموا بتوجيهات السلاطين المنصبة على تقديم الولاء وجمع الضرائب والخطبة للسلاطين ؛ ولهذا ظلت الولاية مرغمة على الالتزام بما هو معمول به ومقرر تنفيذه ، إن فترة الاستقرار كانت محدودة ووقفاً على الولاة الذين كلفوا بإدارتها ، ووجدت أن النظام مفقود ويحدده الوالي ، أما القانون ، فهو فرمان سلطاني قد ينفذ وإذا نفذ فقد لا يستمر. ومما لاشك فيه ، أن مسألة ضعف الأعمال البحرية مرت بمراحل متعددة تبعاً لقوة الولاة وضعفهم. ففي عهد مراد أغا والريس طرغوت باشا ، كانت إدارة قوية ومتماسكة ، فللانكشارية أغا مسئول عن ضبط الأمن ومحاسبة المخالفين ، والجميع يخضعون للنظام العثماني الصارم والمتمثل بالوالي ، والوالي صورة طبق الأصل عن السلطان العثماني أي أن فترات السلاطين الضعاف رافقتها ولاة ضعاف ، وكانت الانكشارية فيها هي صاحبة القرار ، ومع مطلع القرن السابع عشر ، كبرت الفوضى وغدت مسألة غير معيبة ، وطرح شعار البحث عن المنفعة وتأمين المصلحة الذاتية على حساب وطن أكلته الفرمانات الطوباوية ، وإذا كانت طفرة

قوة الدولة العثمانية قد تجلت في عهد مراد الرابع ، فإن ولاية طرابلس الغرب شهدت طفرة قوة تمثلت بالوالي طرغوت باشا ، سواء في مركز السلطنة أم في ولاية طرابلس الغرب، فقد بدأ الضعف يسترد عافيته وبدأ عهد الأوباش والأرذال، وغدا الضعيف يؤكل دون مساءلة ، والنظام يداس دون وازع من ضمير ، وانهارت المبادئ وتوقفت الأعمال البحرية ، وغدا المواطن يسحق من قبل طرفين كلاهما وجه للأخر الانكشارية الفاقدة للمبادئ واللصوص الذين لايؤمنون بالشرائع والنظام ولا يراعون شيئاً ولو كان لحرمة المقدسات. ونتج عن هذا الخليط تغيير شبه مستمر للولاة يرافقه صراع الجند فيما بينهم ، لقد كان الصراع قاسياً محتدماً لا هوادة فيه عماده التكتلات القائمة في إطار المؤسسة العسكرية التي كانت تختار من بينها أضعفها فإذا عزل من طرف كتلة ما ، عمدت تلك الكتلة إلى تعيين الأضعف فيها وكأن الأمر أصبح مسلياً وملهاة للوقت ، فلا أعداء يهاجمون الولاية ليوحدوا صفوفهم ولا فرماناً عسكرياً يعاقبهم على فعلتهم ، والأهالي يطحنهم الفقر الناجم عن كثرة الضرائب ، ومهاجمة الجراد لمزارعهم ، والأوبئة من الطاعون والملاريا أخذت الشبان وتركت من كان مقعداً. وأما البحرية التي كان علمها الأزرق يرفرف فوق سواحل البحار ، فقد لفها صقيع الجمود ، ولقد تناسى البحارة تلك الأناشيد التي كانوا يرددونها في الذهاب والإياب ، وإذا أبحرت السفن القديمة بفعل الظروف فإنها كانت تغالب الأمواج بصعوبة محاولة الوصول إلى اقرب نقطة تمكن بحارتها من جمع فضلات بحار الجزائر وغيرها.

وواقع الأمر، فقد سئم الأهالي حياتهم في ظل الإدارة العثمانية المتهالكة ، وغدت لقمة العيش حلماً يراود أذهان غالبية سكان الولاية ؛ لأن الطرق التي شقتها قوافل التجارة سابقاً ، ردمتها الرمال ، وغدا من الصعوبة تحديد معالمها حتى على الأهالي ، والقبائل ضاعت وسط متاهات التغيير ، فقد تخلت عن طبيعتها البدوية ، ودمرت وسط المدينة ، أفقدها الصراع والسأم كل ما يدلل عليها أويميزها من الضياع القائم في إيالة بعيدة عن مركز السلطنة ، والأجانب يحاولون، وبدهاء، تعميق الجمود وإذكاء الصراع وتجسيد الفوضى و الاضطراب.

المراجع

[1]– أحمد جودت باشا ، القراصنة في الشمال الإفريقي ، الطبعة الثانية ، استانبول ، 1904 ، ص 280–281.

[2]- BELHAMISSI , Histoire de la Marine Algerienne (1516-1830) Entreprise du Livre Alger , 1988 , p126.

[3]– المير الاي ، حقائق الأخبار عن دول البحار ، الطبعة الثانية ، مطبعة سي ، استانبول ، 1938م ، ص23.

[4]– سيد مصطفي ، الإصلاح العثماني في القرن السادس عشر نقد حالة الفن العسكري والهندسة و العلوم ، تحقيق خالد زيادة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولي ، بيروت ، 1979م ، ص 244.

[5]– تكر جلين ، الأسطول العثماني في ولاية طرابلس الغرب ، ترجمة يوسف نعيسه ، الطبعة الثانية ، مطبعة سي ، استانبول ،1991م ، ص 332.

*إوجاق مصلح إوجاق يعني موقد مأوى ، ملجأ ، وقد أطلق على جند الشمال الإفريقي وعرفت في المصادر العثمانية بأوجاقات الغرب للمزيد راجع:

H A R Gibb and Harold Bowen , op. .cit .vol , part 1 , P48

[6]- Celal Tevfik ve Kara sapan , Libya , Ankara ,1960 , P36-37.

**الانكشارية ، اسم يطلق على عساكر الدولة العثمانية الذين اعتمدت عليهم في توسيع رقعتها ونشر الدين الإسلامي وهم الأطفال المسيحيون الذين قامت الدولة العثمانية بجمعهم في سن مبكرة من البلدات والقرى المسيحية وتم انتزاع هؤلاء الأطفال من أحضان أمهاتهم وأيضا الأطفال الذين توفي آباؤهم وإفساح المجال إلى هؤلاء المجندين إلى الرتب العسكرية العالية ، والمناصب القيادية في الجيش.للمزيد راجع : Robrt Mantran: Histoire De L’Empire Ottoman , p .433

[7]- Celal Tevfik, OP.cit , P37-49.

[8]– أحمد نوري النعيمي ، البحرية العثمانية ، الدار العربية للموسوعات ، الطبعة الثانية ، بيروت ، 2007م ، ص127.

*** البكلربكي تعني أمير الأمراء وهو من أعلي المناصب في الدولة . بعد أن توسعت الفتوحات الإسلامية انقسم إلى قسمين بكلربك الأناضول وبكلربك الروملي . وكان البكلربك يعينون ولاة على الولايات وقواداً للجيش. للمزيد راجع : سهيل صابان ، مؤلفه المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، الطبعة الأولي ، ص64.

[9]– فهمي علي محمود ، التنظيم البحري الإسلامي في البحر المتوسط ، تعريب قاسم عبده ، دار الوحدة ، بيروت ، 1981م ، ص112– 113.

[10]– أحمد نوري النعيمي ، مرجع سابق ، ص 130.

[11]– تكر جلين ، مرجع سابق ، ص334– 335.

[12]– حسن الضيقة ، الأسطول الحربي الليبي في النصف الثاني من القرن السادس عشر ، دار المنتخب العربي، بيروت ، 1997م ، ص59.

[13]– حسن الضيقة ، المرجع السابق ، ص 60 –61 .

[14]- KolerKihc , Ekrem,Osmanli imparatorlugunda Para , AnKara. Dogus Lid . Sirketi Matbaasi , 1982 , p199-200.

[15]- Celal Tevfik , OP.cit , P42.

[16]– لويس ارشيبلد ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، الطبعة الثانية ، استانبول ، 1968م ، ص83.

[17]- Lapidus .Ira .Muslim Ctiies in the Later Middle Ages. Cambridge University Press ,1968 ,P53.

[18]- Lapidus .Ira .Muslim , OP . cit , p54-55.

[19]- Lopez , Robert s , and Irving W.Raymond Medieval Trade in the Mediterraneam World , Illstrative Documents , Columbia University Press New York, NY1950 , p 216 - 219.

[20]– محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العثمانية العلية ، تحقيق الدكتور إحسان حقي ، الطبعة الثانية ، دار النفائس ، بيروت ، 1988م ، ص156.

[21]- Celal Tevfik , OP.cit , P63.

[22]– لويس ارشيبلد ، مرجع سابق ، ص87.

[23]- Ali Kamel Padisab Analari , Istanbul , 1997 , p251.

[24]- Ali Kamel , OP.cit , P252.

[25]– الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، الطبعة الثانية ، دار الفكر دمشق ، 1971م ، ص44.
26

[26]- ELTER Aziz Samih , Turler da simali Afrika , Istanbil , 1938 , P356.

[27]– محمد فؤاد كوبرولي ، قيام الدولة العثمانية ، ترجمة د.أحمد السعيد سليمان ، مراجعة وتنقيح د.محمود الأنصاري ، الطبعة الأولي ، تركيا ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ، استانبول 1988م ، ص286– 287.

[28]- ELTER Aziz Samih , OP.cit , P402.

[29]– الأب دان ، تاريخ بلاد البربر وقراصنته في القرن السابع عشر ، الطبعة الثانية ، باريس ، 1978م ، ص222

**** الأستانة هو الاسم القديم لإستانبول ويعني المركز وعتبة الباب والتكايا الكبيرة ، للمزيد راجع : سهيل صابان في مؤلفه المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، ص 15.

[30]– باك س ، البحرية في البحر المتوسط ، تعريب حسان حلاق ، دار لبنان ، 1982م ، ص166.

[31]– باك س ، المرجع السابق ، ص167–168.

[32]– ابن عبد الله ، عبدالعزيز ، البحرية المغربية والقراصنة ، الطبعة الرابعة ، 1959م ، ص 348.

[33]– أوغلو طرخان ، طرابلس الغرب ، ترجمة وليد أحمد ، استانبول 1983م ، ص 319.

[34]– عبد العزيز محمد عوض ، التنظيمات العثمانية في الولايات العربية ، الطبعة الأولي ، بيروت ، 1977م. ص391.

[35]- Staniy Lane Poole , The Barbary Corsaiars , London, 1890 , P79.

[36]– عبد العزيز محمد عوض ، مرجع سابق ، ص 394.

[37]– كورد أو غسي ، الأتراك في مياه المتوسط ، استانبول السليمانية ، 1934م ، ص28–29.

[38]– نور رضا ، طرابلس الغرب طرق مواصلاتي ، استانبول ، 1334هـــ ، ص300– 301.

[39]– محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها ، الطبعة الثانية ، بيروت 1954م ، ص 506.

[40]- KolerKihc , Ekrem,Osmanli, , OP.cit , P203.

[41]- Sert oglu Midhit , Resmli Osmanli ,Tarihi , Istanbul , 1958 , p442.

[42]– أوغلو مدحت ، سرت التاريخ العثماني المصور ، استانبول ، 1958م ، ص129.

[43]- Lopez , Robert s , op .cit , P24